

وما يعرض من أسئلة إنما يتصل بهذه المعلومات المهيأة لإلقائها عليكم، وفي مكنة المحاضر الإفادة لها لأنه أحاط بالموضوع قبلاً خبيراً.

نعم إن ما فرط من أسئلتكم التي أبيت لكم دون إطار معين كانت حلاً مؤقتاً انتهى أجلها، وأين نحن من جميل؟ فأنا في واد وجميل في واد.

ألا يحق لي بعدئذ أن ألزمكم الوقوف بعد ما فات، ففيما ذكرت مزدجر، على أنى لم أصدكم عن الأسئلة إلا لأدراً عن نفسي وصمة العجز أمامكم إذا لم أحر جواباً، وإن كان ذلك غير مقبوع عند أرباب الأحلام السليمة، فما للعلم نهاية ترام، لقد عقد السيوطي مبحثاً خاصاً: " ذكر من سئل من علماء العربية عن شيء فقال لا أدري " استعرض فيه بعض أسئلة القيت على بعض الموسومين بالعلم والمعرفة والشهرة الذائعة.

لكنهم - وقد تعسرت الإجابة عليهم - اعتذروا بما اقتنع به السائلون المتبصرون، بيد أن منها سؤالاً من أحقق لم يحسن تقبل الاستعفاء من الإجابة، وأثار حفيظة المسؤول فلم يجد المسؤول بداً من أن يجهله ويزدره في أسلوب لاذع مشين، ذكر السيوطي في نهاية السند " قال حدثني أبو عبد الله الزعفراني، قال كنت بحضرة أبي العباس ثعلب يوماً، فسئل عن شيء فقال: لا أدري، فقيل له: أتقول لا أدري، وإليك تضرب أكباد الأبل، وإليك الرحلة من كل بلد، فقال للسائل: لو كان لأمك بعدد لا أدري بعراً لا استغنت " (1).

وما انتهت من هذه التنبيهات الصارمة حتى يدهني قائل آخر منهم: إننا ازدرجنا وارتدعنا عن الأسئلة التي لا تثار من معلومات تتلى علينا، ويضيق المسؤول بها ذرعاً، فلا امتراء. أن الأسئلة العامة المباغطة عنت وإحراج. ولكن نبغي الآن أمراً آخر لا صلة له بالسؤال، بل يرجع على الاستيضاح لشيء تعهدتم به، ذلك أنكم نعتم ووصفتم صاحب الفوات " ابن شاعر " في الرسالة الغراء أنه وراق كخاطب ليل يجمع ما يقع في يديه، حتى تكاد الثقة

(1) المزهر النوع الحادي والأربعين، 2: 200 مطبعة السعادة.